

كتاب

متلازمة ملحة الوجد

عبدالكريم محمد فرج

## المقدمة

هذه الدنيا حبُّ وفراقٌ سلمٌ وحربٌ

كلماتٌ تعتمدُ عليها قاعدةُ هذه الدنيا وهي محتوى أيماننا من خوضِ  
تجاربٍ نمرُّ بها

أحياناً توشكُ على السقوطِ في الهاويةِ فيأتيك أحدهم يمدُّ لك يدهُ لينتشلكَ  
من قاعِ الهمومِ إلى جنةِ الطمأنينةِ والسلامِ

وهو ذاته بعدَ أن تُشفى جراحك يفلتُ يدهُ ليسقطك مرةً أخرى في سقرِ  
الدنيا

سوريا : عام 2016

بينما كانت الأحداث والحرب مندلعةً في محافظة حماه السورية

وتضجُّ بأزيز الرصاص والإنفجارات والطيران يقصفُ الأحياء

كانَ هناكَ عدَّةُ شبانٍ أصدقاءٍ يعيشونَ زهرةَ شبابهم بحربٍ داميةٍ

وفي إحدى ليالي القصفِ على تلكَ الأحياءِ سقطَ صديقهم مجدٌ شهيداً

فشيعوا جثمانه وبعدَ الدفنِ أصابهم ألمُ الفقدِ فانهالت دموعهم وبين ذاك  
الإرتباك والألم

قطعوا اثنين من أصدقاء مجد عهداً على أنفسهم كرم و عليوي أنهم  
سيلحقان به إلى دار الآخرة

بعد عدة أسابيع تجدد القصف بقوة وكأنها قد اندلعت الحرب العالمية

ومن بين قصف الطائرات سقط أحد الألغام البحرية على عليوي

فسارع كرم إلى رؤيته قد كان محروق الجلد ولم يكن يشعر حينها

فجأة وقع أرضا وتراكم الناس المتواجدون في المكان لإسعافه لإحدى  
مستشفيات تركيا

بعد ثلاثة أيام من العلاج يكلمه صديقه

كيف حالك يا صديقي هل أنت بخير

لكنه لم يستطع الإجابة

بعد عدة أيام جاء خبر موته الذي جعل صديقه يقع في حالة اكتئاب شديد

ويتذكر الوعود التي قد كانوا تعاهدوا عليها سويةً

ويزوره صديقه الشهيد في المنام وكأنه يخبره أنه قد خذله

بقي على هذه الحالة عدة سنوات

سوريا: 2019

القصف مستمر والحرب مندلعة وكريم في حالة الإكتئاب ذاتها

فجأة أصيب والدته بوعكة صحية قوية

يسارع والده لأخذها من مستشفى إلى آخر

لكن لضعف الكوادر الطبية اثناء الحرب وعدم وجود الأطباء

لم يستطيعوا تشخيص مرض والدته

وهو حينها لم يغادر بلدته ليدافع عنها عندما أخبره والده بما حصل

ذهب مسرعا لاصطحاب والدته إلى المستشفيات الحدودية مع تركيا لعل  
وعسى يستطيع علاج والدته التي أنهكها المرض

بعد عناء طويل استطاع معرفة مرضها الذي كان قد وصل مرحلته  
الرابعة في جسد والدته

قد كان مرض السرطان

لكن حينها قد كانت عظامها أصبحت هشّة من شدته لم يكن بوسعه إلا إرسالها إلى تركيا لتلقي الجرعات والعلاج اللازم

لكن لم يسمحوا له بالدخول معها لم يكن لديه خيار آخر إلا إرسالها والاتصال بأقاربه كي يستقبلونها إلى حين أن يستطيع اللحاق بها

وهو في حالة يرثى لها لم يعد يستطيع أن يستجمع قواه العقلية ليجد سبيل يجعله يقف بجوار والدته في هذه المحنة

سارع بالذهاب إلى تجار البشر الذين ينقلون الناس إلى تركيا بطرق غير شرعية وبدأ بالمحاولات مرة تلو الأخرى لكن عبث دون جدوى

كان حرس الحدود قد استطاع إغلاق جميع الثغرات حينها

وبأنت تلك المحاولات بالفشل

بينما والدته كانت تتلقى علاج ليدها المكسورة لأنهم لا يستطيعون إعطائها  
أي جرعة قبل شفاء يدها

ولكنه لم يفقد الأمل عاد ليحاول من جديد

وفي اليوم التالي استيقظ على اتصال من شقيقة والدته

تقول له لا تحاول من جديد إن والدتك قد توفيت

توقف الزمن حينها و أصابته رعشة وبرودة شديدة وبدأ شريط الذكريات  
يعاد في مخيلته

ولم يصدق ما سمعت أذناه حاول أن يكذب الخبر

لكن لم ينفذ ذلك قد انتهى الأمر

بعد عدة ساعات جائه اتصال يقول أن عليه التوجه إلى المعبر الحدودي  
لأن جثمان والدته بعد ساعة سيكون قد وصل

بدأ الامر يظهر أنه صحيح وأنه فعلا قد فقد والدته

انهالت دموعه وأصبح يتصرف دون وعي لأول مرة

وذهب مع أقربائه لاستقبال جثمانها

عندما وصل المعبر الحدودي أصابه سكون لبضع دقائق

بدأ يسمع صوت صفارة سيارة نقل الموتى يأتي من بعيد

ثم يقترب الصوت أكثر فأكثر وهوا يلتفت يمينا وشمالا يتأمل وجوه المارة  
وتنهال عليه جميع اللحظات التي منذ أن كان طفل رضيع إلى أن ترعرع  
بأحضان أمه وبجوارها

ويقول يا للهول هل حقا قد رحلت دون رجوع

هل يعقل أنه لم يعد بوسعه سماع صوتها

لم يعد بإمكانه أن يقصّ لها عن الذي يحدث معه كل يوم

وصلت سيارة نقل الموتى ثم نزل السائق وركض كريم دون وعي إلى  
السيارة

عندها شاهد جثمان والدته داخل قطعة قماش سوداء

جثة هامدة يحملها بين زراعيه لينقلها إلى سيارة شقيق والده

كانت السيارة من طراز قديم

من نوع بيك آب

وضعوها في الصندوق الخلفي سعد كريم بجوار والدته

بدأت السيارة بالسير

أصابه الجمود وهو يقف بجوار الجثة

هل هذه والدتي التي كانت تعني لي بحجم كون بأكمله

موضوعة داخل قطعة قماش

حينها دموعه انهالت بغزارة لم يعد يستطيع رؤية ما حوله بوضوح

لم تعد تساعده قدماه على الوقوف أصابه انهيار عصبي

فسقط راعع وهو يكلم تلك الجثة الهامدة

أمي أمي عودي استيقظي قولي لي أنك تمارحينني

قولي لي أنهم يكذبون

انهضي وأخبريني أنك لن تتركيني أنك ستبقين معي وتسنديني

انهضي أرجوك يا أمي

استجمع بعض ما تبقى لديه من قوة وكشف قطعة القماش عن وجهها

وبدأ بتقبيل خديها وجبينها ودموعه تسقط عليهم

أمي لن أخالفك الرأي مرة أخرى عودي لن أعصي أوامرك

لكن دون جدوى

شارفوا على الوصول إلى بلدته التي كانت بالأمس تنهال القذائف بكثرة  
على أحيائها

وصلوا البلدة فوجدوا سكون تام يعم أرجاء البلدة

وأصوات قصف تأتي من بعيد من القرى المجاورة

لم يتبقى من سكانها إلا القليل من الشبان يحمون ما تبقى منها

كان الأمر مرعب والركام في كلّ مكان والأحياء خالية من السكان إلا  
القليل من النساء اللاتي ينتظرن أن يُخرجوا **ما تبقى** لديهم من أثاث في  
منزلهم

وصلوا منزلهم و وضعوا الجثة في البيت ليقوموا النساء بغسلها وتكفينها

ومن ثم يودعونها

وكريم يبكي في الخارج دون وعي عن ما يحدث

انتهوا من الغسل والكفن وضعوها بالتابوت الخشبي كان أبيض اللون

ومن ثم قاموا بوداعها

اقتربت السيارة ليضعوا التابوت فيها ليتجهوا إلى الصلاة عليها

وقف كريم مندهش من ما يحصل بين جموع المصلين لم يتجاوزوا حينها  
الخمسة صفوف

ومن بعد الصلاة عليها حمل التابوت الذي بداخله أمه  
التي كانت الجنة تحت أقدامها

ووضعه بالسيارة متجهين نحو المقبرة ليتم الدفن

نظر كريم الى القبر وحادثه هل تتسع لأمي؟

بالله عليك كن واسعا أمي عصبية بعض الشيء لا تحب أن يضايقها أحد

لا تحب أن تبقى في مكان ضيق

ومن ثم أنزلوها إلى القبر وكان ذلك الوداع الأخير

وكانت آخر قبلة ل كريم على جبين أمه

انتهوا من الدفن واصطفوا على طرف الطريق ليتلقوا العزاء من الناس

وعاد ليفتح بيت العزاء ويستقبل المعزين في منزله

بعد ساعتين والرجال جالسون في بيت العزاء بدأ القصف ينهال على  
البلدة قذيفة تلوا الأخرى

بدأت الناس تظهر عليهم ملامح الخوف ومن ثم تهرب من المكان لتختبئ  
من الشظايا التي كانت تملأ المكان

وبدأ يكثُر القصف بالقذائف أكثر فأكثر

فاصطحبوه أقاربه إلى المناطق الحدودية لكي يقيم العزاء هناك

لكن عندما وصل أصابته وعكة صحية وظن أن الحياة لم تعد تجدي نفعاً

لم يعد بها لذة للعيش وظن أنها النهاية

لم يعد يطيق أن يحادث أحد بقي على هذه الحالة عدة أيام

منعزل تماما في غرفة صغيرة لا يريد أن يقترب منه أحد

فدخلوا إليه أقربائه وأخبروه عليك أن تتعافى من حالتك هذه و لا تظهر  
أمام والدك أنك مكسور هكذا

فتحزنه أكثر يجب أن تتعافى وتصبر لكي تُصبر أباك وأخوتك

وإذا برسالة تصله من شقيق أمه التي كانت تقطن لديه

عندما ارسلها إلى تركيا يقول لا تحزن إنها سنة الكون إنه وعد الله كن  
صبورا ومحتسبا

دع عنك كل هذا وسافر إليّ لتعيش معي في تركيا

بعيدا عن الحروب وضجيجها

نظر كريم إلى ما قاله له شقيق أمه

وأعدّ عدّته وسلك طريق غير شرعية للعبور كان الليل حالك

شديد الظلمة لكن كانت إنارة الحرس الحدودي مركزة على الجدار

والكشف الذي يكشفون به الحدود يتجول بالمكان

قفز كريم من على الجدار الإسمنتي المرتفع ليقفز وراءه عشرون شخص  
بينهم أطفال ونساء

عبر الشارع المجاور للجدار ودخل الغابة ليختبئ بين الأشجار

ومن ثم عبر من على جرف في الغابة كان لا يوجد هناك مكان عليه  
لموضع القدم

لم يكن هناك مكان للغلط أبدا لأن الغلطة هنالك قد يدفع حياته ثمنا لها

ومن ثم وادي بين أشجار غابة لا يقطنها إلا الأشباح

وهو في طريقه وجد امرأة كبيرة في السن ولديها طفلتان بالعاشرة من  
عمرهم

لم تعد تقوا على السير

فسارع للإمساك بيدها اليمنى وساعده شاب وأمسك يدها اليسرى

وساعدوها كي لا تبقى وحدها في هذه الغابة المرعبة

بعد مشي وجري متواصل وصل بر الأمان إلى جسرٍ ليُمضي سواد الليل  
تحتة إلى حين شروق الشمس

أشرقت الشمس وأنت سيارة لتنقلهم إلى بيت أحد المهربين الأتراك

تركيا : عام 2019

وصلوا البيت ثم قدّموا لهم بعض الطعام

واتصل بأقرباء له في نفس المنطقة ليذهب إليهم

عندما وصل بعد العصر استحم وإذا بأحد أقربائه يخبره أن بلدتك قد سقطت محتلة

لم يكثرث لشيء لكنه حزن حزناً شديداً كيف سيستطيع زيارة قبر أمه مرة أخرى

في اليوم التالي اتصلت به شقيقة والدته قالت حضر أشيائك وكن على  
جاهزية تامة

سيأتي زوجي لنقلك إليّ وبرفقته رجل تركي كي لا تتوقف على حواجز  
الجيش ويعيدونك إلى سوريا

بالفعل بعد ساعة ونصف وصل زوج خالته

وصعد معه قد استغرق الطريق ساعتين ونصف الساعة

وصل إليها فاستقبلته على باب المنزل ودموعها تسيل بغزارة

لم تتعافى بعد من ألم فراق شقيقتها التي تركت جرح عميق في قلب من  
كان يعرفها

بات سواد الليل عندها لكنه لم يغمض عينيه تلك الليلة قط

أفكار تأخذه وتحضره ذكريات تمر في مخيلته

طيف والدته الذي لم يفارقه قط

وبعد عدة ساعات على تلك الحالة

أشرفت شمس الصباح فاتصل به شقيق والدته الوحيد

أخبره أنه أت لأخذه بعد ساعة

بالفعل جاء ليصطحبه إلى منزله وأينما ذهب كريم

يكون الحديث عن والدته التي لا تغيب عن فكره أبدا

زوجة شقيق والدته تخبره أن والدته قبل وفاتها كانت تهدي بأسمائكم

كانت راضية عنكم كانت مشتاقة لكم

دمعت عيناه وقبل أن يضعف أمامهم أخبرهم أنه متعب ويجب أن يأخذ  
قسطاً من الراحة

وغدا يكملون الحديث

ليحاول أن يبقى قوي أمامهم

لكن خانته دموعه بالفراش وتورّمت عيناه من شدة البكاء

بكى بكاء شديدا إلى أن أنهكه التعب وخذ للنوم

استيقظ بالفجر كي يصلي ويدعوا الله أن يجمعه بوالدته بأسرع وقت ممكن

وجلس يحاور نفسه إلى متى سأبقى هكذا

إن الأجل بيد الله والأمر بيده

ودعا الله أن يلهمه الصبر والسلوان على فراقها

بقي لدى شقيق أمه ثلاثون يوماً ..

بدأ يشعر بالملل الشديد

لم يكن معتاداً على الجلوس في المنزل دون عمل أو حراك

اتصل به ابن عمه الذي يسكن ولاية مرسين

أخبره نريد عامل لدينا هل تريد أن تأتي ؟

أجابه نعم بكل تأكيد

وفي اليوم التالي سافر إلى ولاية أضنة ومن ثم

إلى مرسين

كان العمل في تربية الأسماك لكن كريم كان خبيراً في هذا المجال

بدأ العمل معهم بمقابل بسيط من المال فقط ليسدّ فراغه

ولينال شرف المحاولة بأن يدخل مخابر الدولة ويعمل معهم في تفريخ  
الأسماك وتربيتها

وليرى أين تباع الأسماك ومن أين يأتي الأكل الخاص بالأسماك رغم  
أنه عمل متعب جداً

بعد مدة عاد ابن عمه إلى سوريا وبقي وحده

بقي يعمل سبعة أشهر بالتمام إلى أن أصابته حمى شديدة لدرجة أنه من  
شدة حرارة جسده

لم يعد يشعر بقدميه أبدا

شفي بعد أربعة أيام من المرض

فقرر أن يترك العمل عند هذا الرجل

ويعود إلى إسكندرون ليفتح عمل لنفسه وبالفعل

قد عقد اتفاق مع ابن شقيقة والدته لكي يعملوا سويةً وثالثهم رجل تركي  
باعتبار أنه بلد غريب

ليسهل عليهم بعض الأمور

بعد شهرين بدأ بافتتاح الأحواض لكي يبدأ باستزراع الأسماك

ليعيد ترتيب حياته و يبني مستقبله من جديد بعد أن خسر كل ما لديه في  
سوريا

تركيا : عام 2020

بدأ العمل ليلا نهارا بكل جد دون راحة أو رقود

أعد الحواضن لأفراخ السمك الصغيرة كي يضع بيوض الأسماك بها

بدأت العثرات تظهر و أضرار المياه فقد اكتشف أن مياه تركيا ومناخها  
يختلف تماما عن مناخ سوريا

جلس يفكر في الحلول لتخطي هذه العثرات التي واجهته

ابتكر فكرة بأن يجعل المياه ترقد في الأحواض الترابية كي ترسب الوباء  
الذي بداخلها في قاع الأحواض

وبدأ ينقل المياه من الطرف العلوي للأحواض

وبالفعل نجح في ذلك وفتحت البيوض

بدأ باستزراع الأحواض واحدا تلوا الآخر

وبينما هو منهمك في عمله لا يخلد للنوم إلا بضع ساعات وأحيانا لا يخلد  
أبدا

إلى درجة أنه في العاشرة صباحا غلبه النعاس وخلد للنوم تحت أشعة  
الشمس على حافة الأحواض السمكية

رغم كل ذلك لا تهجره الذكريات ولا يفارقه الألم

غلبه الحزن فوصف حالته قائلاً

ليل طويل وشاحب..

روتين ممل كل ما حولنا أصبح باهتاً..

أفقدنا ذاك الشعور بالإقتراب من أحد..

تراكمت الخيبات والتفت حول عنقنا لم نعد نقوا على عراق الجراح..

تلك الأغنية لم تعد تطربني ولم تعد تذكرني بك..

أتلقت صورك القديمة من قلبي قبل هاتفي..

كأسِ المته أصبح فائضاً ب المرار..

الأيام أصبحت تمرّ بسرعة الرياح..

وقتي لم يعد ممتلاً بك..

قد عدت فارغ الشعور تماماً

عيناى على وشك الخضوع لعدم الرؤية..

استبسلت عليّ عثرات الزمن.. ومصائب الدهر..

علموا أنني وحيد في سواد ليلي.. فانقضوا عليّ وغرزوا أنيابهم بشراسة

لا أحد يستطيع إخراجي من عُزّلتِي..

إياكم وإيقاظ قلبي من غيبوبته..

دعوني أرقد بوحدتي بسلام..

كل شيء تلاشى حتى تلك الذكريات .. و الضحكات المتعالية

و النظرات السامة..

كُل شيء..

كُل شيء..

تركيا : عام ٢021

وبينما هو يعتقد أن قلبه بات رمادا محترق بالكامل

لم يعد يستطيع احتواء أحدا بداخله ويبحث عن تسلية في أوقات فراغه  
القصيرة

ليسذ بها بعض من رمق وحدته القاتلة

عبر الأنترنت لأنه كان يسكن بعيدا عن البشر لا أحد بجواره

فيصطدم بفتاة بمحادثة جمعتهم

فأحب حديثها وكان الحوار ممتع بعض الشيء

ومن ثم رقد في فراشه

ليستيقظ مبكرا ويبدأ عمله المعتاد

لكن تلك الفتاة لم تفارق مخيلته قط

لا إراديا في إستراحة الغداء أمسك هاتفه وأرسل لها رسالة لعله يظهر أنه  
عن طريق الخطأ

لأن كبريائه لا يسمح له بذلك

لكنها حينها لم تجيب فعاد خائباً

بعد عدة ساعات وهو منشغل في عمله تصله رسالة منها

قد يتعجب البعض من هذا الكلام لكن هذا الحال الذي أصبحنا عليه في  
زمن الحرب والتغريية السورية

هنا بدءا بالتعرف إلى بعضهم البعض بشكل قريب

وتبادلوا الأحاديث بينهم

واتفقوا على شيء أنهم كلاهما معجبون بأغاني العتابة السورية فإن  
محتواها أبيات شعر جميلة

يدخل القلب بسلاسة ويمس ما بداخلنا ولقّبها بجارته

لأنها من قرية في سوريا لا تبعد عنه كثيرا

فقال لها

يا جارة القلب ألم تشعرين بالجار ؟

إن أهل النفرقة كقار وفجار

الله من الصخور ينابيع قد فجر

فكيف قلوب من دماء وعصب

سرعان ما أبدت إعجابها بذلك وأحبت تلك الأبيات

وفي الليل في وقت فراغه كانت أول مكالمة تتلامس بها أصواتهم

ويتبادلون أبيات العتابة سوية لكنه كان قد أعجب بها كثيرا

وبدأت تيقظ قلبه من ثباته بدأ يرتعش قلبه ويللم شتاته من جديد

هنا لم يعد يستطيع مفارقتها كان يعمل وهو يكلمها

يبحث عن ثغرة ليستريح قليلا في عمله ويسارع للحديث معها

وهي كانت تبادله ذلك

استمروا على هذه الحالة نصف شهر أو أكثر بقليل

في سكون الليل كانت تضج قلوبهم حبا لبعضهم البعض

حينها كانت نائمة على سطح منزلهم الذي كان في محافظة إدلب السورية

باعتبار أنه لا يوجد كهرباء وكان الطقس حارا كثيرا

بينما هو كان يرقد بجوار أحواض الأسماك كي يتفقدهم بين الحين والآخر

قالت له انظر إلى السماء وقم بعد النجوم واختار واحدة منهم

نطق قلبه قائلا قد اخترتك أنت دون تردد

فابتسمت وبدأت ملامح الخجل تبدو على صوتها

وبدأ يرسم حلم من جديد بدأ يشعر أن قلبه عاد للنبض بحبها

ولكن لم تسعفه الكلمات كي يعترف لها

ومن الطرف الاخر كانت سون نفس الشيء ليس لديها القوة على البوح  
فيما بداخلها

في اليوم التالي قالت له صديقي ?

أجابها هل حقا صديقك ?

استغربت من سؤاله لكنها ترددت في الإجابة

فقال هل أنت تحبينني ؟

قالت نعم فأنت صديقي، أجابها هل أنت متأكدة أن مكانتي لديك ك صديق

عمّ السكون بينهم للحظات ثم استجمع قواه ورتب ما بداخله

وقال أنا أحبك...

فقالت وأنا أيضا أظنك قد انتشلت قلبي

أظن أنك قد اجتحت ما بداخلي وسكنت به

ومن حينها بدأوا يرسمون عالمهم الجديد

و مستقبلهم سوية ويتبادلون الغزل بينهم

وهو يغني لها أبيات العتابا السورية

وأصبح في كل يوم يحبها أكثر فأكثر

ويغرق في حبها لا إراديا وأحبها بجميع تفاصيلها

بأخلاقها وخجلها وتربيتها الحسنة وراوده الفضول كي يتحدث إلى والدتها  
ليعبر عن امتنانه ويشكرها على هذه التربية

وبينما هو يكلمها قال لها أريد التحدث إلى والدتك

بالبداية لم تقبل أن تدعه يتحدث إليها

رغم أن والدتها هي أيضا كانت تريد التحدث معه لتختبره هل حقا  
يستحقها

هل هذا الشاب ذو أخلاق عالية و تربية حسنة

فاستعان بابنة شقيق والدها ليستطيع الوصول إلى والدة سون  
بالفعل ساعدته في ذلك

في السابق أخبرته سون أن والدتها سمعت صوته في العتابا وأحبهه كثيرا

فأرسل لوالدتها مقطع من العتابا وبطريقة فكاهية قال لها قد أرسلته دون  
قصد كنت سأرسله لشخص آخر

سمعت والدتها مقطع الصوت قالت له أنت كريم؟

أجاب نعم يا للهول كيف استطعت معرفتي

أجابته قد سمعت صوتك من قبل  
وقدم لها امتنانه وشكرها على حسن تربية سون

وبدأ بالشرح لها عن واقع حياته التي يعيشها وعن عمله ومستقبله

بصراحة تامة

أحبت والدتها كريم وصراعته وحسن خلقه

قالت لا مانع من علاقتكم

كنت قبل ان أكلمك رافضة هذه العلاقة نهائيا

لكن الآن أنا معكما إلى النهاية

رأت والدتها بكريم نجلها المتوفي منذ زمن ليس بالبعيد  
وقالت له أنت أصبحت ولدا من أولادي من اليوم فصاعدا

فرح كريم وبدأت ملامح الفرح تبدوا على وجهه

وذهب ليخبر سون عن ما حصل فأصابتها الدهشة

هل يعقل أن والدتي قالت لك هذا

ياللهول والدتي لم تتكلم هذا الكلام مع أحدا قبلك أبدا

هنا كريم وسون يخططان ك اي حبيبين أن يسعيان ليكونوا عائلة واحدة

وحتى أنهم اتفقوا على تسمية الأولاد

فتدخل فتاة بينهم لتوقع بينهم وبالفعل استطاعت أن تنثر سمها على هذا  
الحب الذي كان بينهم

وبدأ الشجار والغيرة بينهم بدأت تحترق ملامح سون من شدة الغيرة

وهنا قد كان الشجار الأول بينهم وأقسم أن لا يكلمها قط

فخط لها كلمات تقول

الليلة الأولى..

لا أعلم لماذا أصبح هذا الليل طويل

لماذا أصبح باردا كئيبا بعض الشيء

لماذا صدى صوتك يغزي مسمعي

حقاً قد اشتقتُ لكِ دون أي تردد

لكنني أقسمت ب الإثنين المقدسات

كيف سأستطيع وصالك بعد هذا

كيف...؟

وبعد بضعة أيام من الحزن عادت سون وأخبرته أنها قد اشتاقت إليه حقا  
قال وأنا أيضا أحبك حبا جما

لكن في هذا الكوكب لا أحد يترك اثنين يكملون ما بدئوه بسعادة

وبدأت تكثر الخلافات بينه وبين سون ، تراكمت الأمور وقال كريم  
بدأ الزعل يتغلغل بيننا من جهةٍ والناس بدأت تزرع الفتن بيننا من جهةٍ  
أخرى

وأنا قد قسيت عليها بعض الشيء رغم أنني مغرم بكل شيء فيها عاشقٌ  
لنفاصلها

أني أحبها حبا جما

إنها فاتنتي وسيدة قلبي

مهـما حدث إنني أقدس كل ثانية جمعتنا سويةً

فخطّ قلمه كاتباً

هذا العالم مقرّفٌ يارفاق..

قديمًا كان الغلّ والحقد ظاهراً واقعاً نراه بأُم أعيننا...

كان من السهل استئصاله سريعاً دون صعوباتٍ أو مشاكلٍ تقع بها

لأن الأمر واقعٌ وينقضي سريعاً واقعاً..

حتى يمكن أن تقضيه نظرات العيون ببعضها..

وقرب من نحبٍ كافي ليقضي على كل هذا..

اليوم إلكترونيّاً يتغلغل الحقد في داخل بعض البشر

لا يدعون اثنان يكملان مابدئاه سويةً

يتلاعبون على جميع الحبال

يكتمون الخبث في قلوبهم ينتقلون من فلانٍ إلى آخر..

يضعون جميع سمومهم ليقتلوا حباً عظيماً نشأ بكل شغفٍ وصدق..

لا إفادة لهم من هذا إلا العبث وإظهار سفالتهم وتعجرفهم

ليتنا نعيش في قرية ريفية بكوخٍ صغيرٍ بهواءٍ نقيٍ وصدق

وبساطة أهل الريف بعيداً عن اتساخ هذا العالم المقرف وعن هؤلاء  
البشر..

هنا قد أصاب علاقتهم الجمود قليلاً

فقال كريم

منذ البارحة شعرت أنها لم تعد مغرمةً بي

شعرت أنها لم تعد لهفتها لسماع صوتي مثل ما اعتدتها

لا أعلم أظن أن البرود قد أصابها

أخاف أن تكون لم تعد تحبني بتّ قلقاً حياً هذا

مرتبكٌ جداً لكنني أظاهر أنني أدعها وشأنها

لكن قلبي يؤلمني من الداخل كأنني أدمنتها أدناي تحتاج لجرعة من  
صوتها بسرعة

عيناى تضج دموعاً تريد رؤيتها

ما الذي حصل هل يعقل أن الحب بداخلها تجزء وفتت من هول الحزن  
الذي تراكم بيننا

أننى أحبها يا سادة قد أفرغت لها بضغ مما بداخلي لكنها لم تحرك ساكن

لم تشعرني أننى بطلها الوحيد لم تعد تشعرني أننى شخصها المفضل مثل  
السابق

لها ثلاثة أيام لم تكلمني إلا مرتين لم تتعدا المكالمة الخمسة دقائق

أخشى أن الحب العظيم الذي بيننا قد تفتت بداخلها

إننى متألم من الداخل قلبي يؤلمني بشدة قد أحرقت ما يقارب الخمسين  
سيجارة دون أن أعى ماذا يجري

منذ قليل أخبرتها أننى أتوق شوقاً لسماع صوتها

لكنها لم تبالي

مرتبكٌ جداً لا أعلم ماذا أفعل لكنني أحبها..

نعم أحبها يا سادة..

لم تعد تريد أن تكمل لقد استسلمت سون للدنيا وأناسها

نسيت الوعود التي وعدت

حاولوا جميع من حولها أن يعيدونهم لبعضهم البعض

لكنها رفضت بغموض تام

أحرق جميع ما بداخله لكي تعود له لكن عبث لم يعد الأمر يجدي نفعا

عندها كريم غلبه الاكتئاب لم يعد يعمل وأغلق أحواضه السمكية

وقرر الهجرة من البلاد إلى بلد أفضل لعلّ وعسى يستطيع أن يطمح من جديد

لكن لم يكن لديه النقود الكافية

فأراد أن يجمعها بأي طريقة كانت

عمل في شركة للفاكهة بمقابل قليل

فقط لكي يجمع بعض من النقود يكمل مسيرته بها

رغم ذلك لم يستطع نسيان سون

وفي كل ليلة يجلس وحيدا لا يقاسمه ليله سوى الروايات التي كان يكتبها

فكتب كريم

منذُ ليلة الفراق الأولى وأنا أمارسُ طقوس حبنا

بيني وبين صورها التي سكنت فؤادي ألقى عليها تحية الصباح عندما  
استيقظُ من جحيم الفراق بعد ليلة مُتعبة أصبح البعد محتواها ك طعنات في  
القلب لكي ينزف حتى الهذيان

ويقعُ العقل في غيبوبة الذكريات

فئغشا عليه ك موتٍ سريري حتى تُشرق شمس هذه الحياة التي توجعنا  
لطمًا

فتقول للقلب حان دورك من جديد لأجتاح نبضاتك بأشعتي الحارة

لأكوي تلك الجراح لكي يستمر الألم

لكي لا تموت أوردتك من قساوة الألم

لكي تستطيع أن تكمل عذابك حتى يشاء الله أن تُفنى عن هذا الكوكب إلى  
حياة أبدية لا شقاء فيها

إنه عقابك الدنيوي عليك أن تُطعن وعلّي أن أكوي جراحك ليستم  
العذاب

إلى وقت المغيب يبذل الأمر للسكون قليلا

فيأتي الليل ليستوطن قلبي ويسقي الذكريات بسواده الداكن

وكل هذا بيومٍ وليلة يحدث كل أربعة وعشرين ساعة

إنها لعنة الحب ورغم ذلك يا مرحباً بها..

رغم كل ذلك مازال كريم يحبها بقلبه الذي أصبح رمادا

واللحم بقية..

الخاتمة:

إن هذا الحب السرمدى لا ىنجلى أبدا مهما حدث جذوره باقية تنبت كل يوم  
من جدى

مهما حاولنا استئصاله ىستبسل وىعود بشراسة

لكن هذا واقعنا الیوم فى ظل هذه الحرب والتغرىبة السورىة

شاب فى بلد و ابنة قلبه فى بلد آخر ورغم ذلك تنبض القلوب حبا رغم  
البعد رغم اختلاف الآراء رغم جراح الحرب

لم یعد بوسعنا الوصول لبعضنا بسهولة

وخصوصا أنهم من أرض مزقت وحدثها الأمم وباتت حلبة مصارعة  
لجمیع الدول

كتاب من رحم الواقع الذى نعیشه جمیعا

